الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2022/2021

قسم العلوم الإنسانية المستوى: أولى جذع مشترك علوم إنسانية

المقياس: مدخل إلى الفلسفة الأستاذ: عبد الله زين (أ/ محاضر.ب)

المحاضرة 01: الفلسفة/ أهميتها وصلتها بغيرها من فروع المعرفة

ثانيا: علاقة الفلسفة بـ (العلم، الدين، الفن)

1-علاقة الفلسفة بالعلم :

***تمهيد:**

إذا رجعنا إلى بدايات التفكير الفلسفي، كما عرفناها، نجد أنه لم يكن هناك تمايز بين الفلسفة والعلم؛ فالعلاقة بينهما في هاته المقاربة التقليدية، كانت علاقة اتصال، بخاصة مع التصنيفين: الأرسطي والديكارتي؛ فكان الفيلسوف يبحث في حقيقة الوجود ككل، فهو نفسه العالم الذي يبحث في الموجودات الطبيعية وخصائصها من عناصر وأجسام وأجرام سماوية وغيرها...الخ . ومن أمثلة ذلك، أن " طاليس" (640-546 ق م)، الذي كان من أوائل فلاسفة اليونان، قد كان مهندسا وفلكيا . وكذا " فيثاغورس " (570-500 ق م)، الذي كان رياضيا بارزا وفيلسوفا . ولا ننسى " أرسطو" (384-322 ق م)، الذي ترك مؤلفات في شتى العلوم، كالفيزياء والفلك والآثار العلوية (الظواهر الجوية)، وعلم الأحياء وغيرها .

ظلت العلوم المختلفة، ينظر إليها على أنها فروع للفلسفة، وهو ما تجلى عند الفلاسفة المسلمين مثل" الكندي " " والفارابي" و " ابن سينا " و " ابن رشد " وغيرهم، وقد ظل الحال كذلك عند فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية، مثل " توما الاكويني " (1225-1274 م)، وغيره .

استمر النظر إلى الفلسفة، على أنها العلم الشامل لجميع العلوم، إلى غاية عصر النهضة وبداية العصر الحديث، حيث بدأ الاهتمام بدراسة العالم الطبيعي، عن طريق منهج الملاحظة والتجريب، الذي دعا إليه في البداية " روجير بيكون " (1214-1294 م)، وبعد ذلك " فرنسيس بيكون " (1561-1626 م)، من خلال كتابه " الأورغانون الجديد "، والذي دعا إلى ترك منطق أرسطو والأخذ بالمنهج الاستقرائي الذي يقوم على الملاحظة والتجربة .

أحرزت العلوم الطبيعية - بفعل المنهج الاستقرائي التجريبي- تقدما هائلا، مما جعلها تطمح للانفصال عن الفلسفة، الواحد تلو الآخر، علم الفلك (كوبرنيكوس، غاليلي، كيبلر)، علم الفيزياء (نيوتن)، علم الكيمياء (بريستل، لافوازييه)، علم الأحياء (كلود بيرنارد) . إن ذلك جعل العلوم الإنسانية بدورها تسعى للانفصال عن الفلسفة، وقد تحقق ذلك لعلم الاجتماع، عن طريق المفكر الوضعي الفرنسي " أوجيست كونت "، وعلم النفس عن طريق المدرسة السلوكية بزعامة عالم النفس الأمريكي " واطسن " .

فما حقيقة العلاقة بين الفلسفة والعلم ؟

إن المقارنة بين العلم والفلسفة، تكشف وجود بعض نقاط التباين والاختلاف بينهما، سواء من ناحية نقطة البدء التي ينطلقان منها، و موضوع البحث، والمنهج المتبع في الدراسة، والنتائج التي يرجى الوصول إليها .

إن التقدم الهائل الذي أحرزه العلم التجريبي في العصر الحديث، جعل بعض المفكرين ينادون بالاستغناء عن الفلسفة، وأنه لا صلة توجد بينها وبين العلم، لكن الحقيقة عكس هذا الاعتقاد تماما؛ فسرعان ما وجد العلماء، أنهم بحاجة إلى جهود الفلاسفة ومنهجهم في التحليل، فبدأوا يمدّون الجسور نحو الفلسفة، وقد نشأ عن التقارب بينهما، فرع جديد من فروع الفلسفة؛ هو فلسفة العلم .

إن الانهزامات المتكررة التي مني بها المنهج العلمي، وتراجع مقولات راسخة في الذاكرة الفلسفية، كمبدأ شفافية الواقع، ومبدأ صلاحية القانون العلمي، قد أعاد الاعتبار للشأن الفلسفي . إن العلاقة الجديدة اليوم بين العلم والفلسفة، فضلا عن أنها علاقة حوارية، يجب أن ترتقي إلى مقام التأسيس الفلسفي للعلم؛ ومعنى ذلك فك الارتباط بين العلم من حيث هو طريقة من طرق البحث والاكتشاف والإنجاز الحضاري، وبين التوظيف الهمجي للعلم، على ما يجري اليوم في الاحتلالات الهمجية بالإمكانات التقنية، التي تقتل بطريقة منظمة، أي التحالف الشاذ بين الإمكانات العلمية والتكنولوجية، وبين النزعة إلى الإبادة العرقية والتدمير الشامل . وتتبادر إلى أذهاننا ضمن هذا السياق، عبارة العالم النفساني النمساوي " سيجموند شلومو فرويد "(1856-1939 م) بخصوص حالة عصره، وذلك عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، التي لم يكتب له أن يشهدها فعليا، حيث يقول: « نحن نعيش في زمان شديد الغرابة، أصبحنا نلاحظ فيه وباستغراب، أن التقدم العلمي قد عقد تحالفا مع النزعة الهمجية والبربرية » .

يتضح مما سبق، أنه من الضروري أن تكون الصلة وثيقة بين العلم والفلسفة، لأن ذلك سينعكس إيجابا على كليهما، بحيث يصبح العلماء ينظرون في ما يثيره الفلاسفة من قضايا ومشكلات، مما يساعدهم على فتح آفاق جديدة للبحث أمامهم، وكذلك يستفيد الفلاسفة من نتائج العلوم في دراستهم للوجود، ومحاولة فهم حقيقته .

العلم والفلسفة نشاطان فكريان، يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه، فكثيرا ما طرحت الفلسفة أسئلة تكفل العلم بالإجابة عنها، وكل إجابة علمية تؤدي إلى بلورة أسئلة فلسفية جديدة، في إطار جدلية (سؤال- جوب)، وقد قيل: بأن الفلسفة تبتدئ حيث يتوقف العلم، ومن جهة أخرى فإن العلم هو وليد أسئلة الفلسفة، كيف لا ؟ وكلاهما وليد العقل الإنساني . الفلسفة والعلم طريقان ضروريان لاكتشاف الحقيقة، ولاستمرار تقدم الإنسان في فهم العالم وحقيقة الوجود الذي يعيشونه، ولا غنى للإنسان إن أراد أن يستمر الاطراد في التقدم الذي يصنعه، عن وجهي إدراك الحقيقة: الوجه العلمي والوجه الفلسفي .

2-علاقة الفلسفة بالدين:

في مستهل الحديث عن علاقة الفلسفة بالدين (Religion)، ينبغي ضبط مفهوم الدين أولا، والذي يعرّف لغة بأنه: العادة والحال والسيرة، كما يحمل معنى الجزاء والحساب، فيقال: « كما تدين تدان ». ويطلق لفظ الدين عند الفلاسفة القدماء، على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الحق في المعتقد والخير في السلوك .

إن الخبرتين الدينية والفلسفية قديمتان قدم الإنسان ذاته، وكانتا مرتبطتين لديه، لكن شيئا فشيئا بدأت الخبرتان تتمايزان لدى الإنسان، وخاصة بعد أن ظهرت الفلسفة عند الإغريق وتطورت، فكان " أرسطو" أول الفلاسفة والعلماء اليونان، الذين قدموا فلسفتهم بعيدا عن النزعة الدينية .

أما على الصعيد الديني، فقد حدث هذا التمايز بين الخبرتين الدينية والفلسفية، منذ أن نزل الوحي الإلهي بالشرائع الدينية، خاصة في المسيحية والإسلام، فأصبح الناس يميزون بوضوح بين الدين باعتباره خبرة تستند على الإيمان والتسليم، بما ورد في النص الديني، وبين الفلسفة باعتبارها خبرة تتعلق بنتائج بحث العقل الإنساني في الوجود .

إن التمايز بين الدين والفلسفة، أدى بالبعض إلى التساؤل عن جدوى الفلسفة في ظل وجود الدين، وقد ترتب عن هذا التساؤل، أن ظهر نوع من العداء والصراع أحيانا بين رجال الدين والفلاسفة، فظهرت فرق دينية تحارب الفلسفة، بحجة أنها ضد الدين، لكن تبيّن بعد ذلك أنه لا يوجد تعارض بين الدين والفلسفة، وأن الحجة العقلية الفلسفية داعمة للإيمان والاعتقاد الديني ومؤكدة له .

إن الفلسفة بمنهجها العقلي الساعي إلى الفهم المجرد لحقيقة الوجود، وللجوانب المختلفة لحياة الإنسان، والدين بمنهجه التسليمي الإيماني، كلاهما ضروري لحياة الإنسان؛ فالدين يخاطب الوجدان، والفلسفة تخاطب العقل . يتضح هذا الارتباط بين الفلسفة والدين في الإسلام؛ الذي خاطب العقل والوجدان معا، ولذلك جاءت دعوته إلى اعتبار التفكير العقلي والتأمل الفلسفي، أقرب ما يكون إلى الفريضة الدينية .

فالعلاقة بين الدين والفلسفة قديمة في الخبرات الإنسانية، إذ أن كليهما يعبر عن حاجة فطرية في الإنسان؛ فالتفلسف فعل أصيل في الإنسان باعتباره كائنا عاقلا، والتدين فعل أكثر أصالة، وما

يظهر لنا في تاريخ العلاقة بينهما من صراع، هو في حقيقته صراع بين الفلاسفة ورجال الدين؛ لأن مهد الفلسفة و بواكيرها الأولى، نجدها في الأديان الشرقية القديمة، ثم إن الديانات الكبرى لم تتعارض مطلقا مع التفكير العقلي المجرد، إنما استندت إليه وإلى نماذجه في الاستدلال والحجاج كي تتقبلها العقول بقبول حسن، وهكذا فحقيقة العلاقة بينهما، ليست بالتضاد المضنون، لأن بينهما وحدة في الغاية، وهي إدراك الحقيقة والوصول إلى الحق .

3-علاقة الفلسفة بالفن:

قبل الحديث عن علاقة الفن بالفلسفة، من الضروري تحديد مفهوم الفن (Art)، وضمن هذا السياق، ينبغي الإشارة إلى وجود معنيين للفن: معنى عام ومعنى خاص .

الفن بالمعنى العالم؛ هو جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة، جمالا كانت أو خيرا أو منفعة . أما الفن بالمعنى الخاص؛ فهو جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال، كالتصوير والنحت والنقش والشعر والموسيقى وغيرها . كما تجدر الإشارة إلى أن الفنون نوعان: فنون تشكيلية وفنون إيقاعية . والسؤال الأهم، ما علاقة الفلسفة بالفن ؟

إن المقارنة بين الفن والفلسفة، تبين وجود تباين واختلاف بينهما، إلا أن ذلك لا ينفي تأثير متبادل بينهما، فهما متداخلان؛ ذلك أن علم الجمال يمثل أحد العلوم المكوّنة لمبحث القيم

(الأكسيولوجيا) في الفلسفة، ومحاولة التعرف على موضوعات علم الجمال، تكشف عن الروح الفلسفية التي تسري فيه؛ فنتساءل مثلا: هل الجمال ذاتي أم موضوعي ؟ ما مكانة الجمال في الكون ؟ وكيف نرصد مظاهره ؟ ما هو مصدر الحكم الجمال ؟ الحواس أم العقل أم الشعور ؟ ما علاقة العمل الفني بالقيمة الجمالية ؟

ومن جهة أخرى، فإن الفن أثرى مجال الفلسفة، باعتباره يرتبط بعلم الجمال، الذي يمثّل أحد العلوم المعيارية المكوّنة لمبحث القيم في الفلسفة .

لقد تعاطى الفلاسفة، - عبر مختلف مراحل تاريخ الفلسفة -، مع الفن بعلاقة صعبة وغير مستقرة؛ فمع " أفلاطون " يتأسس الاحتقار الأنطولوجي للفن، بحيث ينظر للفن نظرة ازدراء، على اعتبار ارتباطه بالعالم الحسي، عكس الفلسفة التي ترتبط بعالم المعقولات (عالم المثل) .

إذا ما تساءلنا عن حقيقة الجمال، فإننا نظفر بأحكام متباينة، بل متضاربة أحيانا؛ فالجمال هو انبثاق الخير (أفلاطون، أفلوطين)، والجمال هو رمز الخير (إيمانويل كانط)، والجمال هو أثر الله (القديس اوغسطين)، إنه التعبير عن الحياة (شوبنهاور)،وهو إرادة القوة (فريدريك نيتشه)

يبدو أن هذه الإجابات ليست منسجمة، وتعكس لنا العلاقة الحميمة والوطيدة بين الفلسفة والفن؛ فقد أضحى الفن النشاط الفلسفي والميتافيزيقي الأفضل .